



محاضرة الليلة الثانية من

شهر رمضان المبارك

قيسات من هنا وهناك رقم (()) إعداد: الشيخ عبد النبي عبد المجيد النشابة...

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان اللعين الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والأنبياء والمرسلين حبيب قلوبنا ونفوسنا النبي المؤيد، والرسول الأجدد المصطفى الأحمدي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلى آله الأطهار الميامين الأبرار (عليهم السلام).

"رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي."

قوله تعالى: « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » الآية رقم 204 من سورة الأعراف
الإنصات السكوت مع استماع، وقيل: هو الاستماع مع سكوت يقال: أنصت الحديث وأنصت له أي استمع ساكتا، وأنصته غيره وأنصت الرجل أي سكت، فالمعنى: استمعوا للقرآن واسكتوا.
والآية بحسب دلالتها عامة وإن قيل: إنها نزلت في الصلاة جماعة.

قوله تعالى: « وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » الآية رقم 205 من سورة الأعراف

قسم الذكر إلى ما في النفس ودون الجهر من القول: ثم أمر بالقسمين، وأما الجهر من القول في الذكر فمضرب عنه لا لأنه ليس ذكرا بل لمنافاته لأدب العبودية ويدل على ذلك ما ورد: أن

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سار بأصحابه في بعض غزواته فدخلوا واديا موحشا والليل داج فكان ينادي بعض أصحابه بالتكبير فنهاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: إنكم لا تدعون غائبا بعيدا.

والتضرع من الضراعة وهو التملق بنوع من الخشوع والخضوع، والخيفة بناء نوع من الخوف، والمراد به نوع من الخوف يناسب ساحة قدسه تعالى ففي التضرع معنى الميل إلى المتضرع إليه والرغبة فيه والتقرب منه، وفي الخيفة معنى اتقائه والرغبة والتباعد عنه، فمقتضى توصيف الذكر بكونه عن تضرع وخيفة أن يكون بحركة باطنية إليه ومنه كالذي يجب شيئا وبها به فيدنومه لجه ويتباعد عنه لمهابته، والله سبحانه وإن كان محض الخير لا شر فيه، وإنما الشر الذي يمسننا هو من قبلنا لكنه تعالى ذوالجلال والإكرام له أسماء الجمال التي تدعوا إليه وتجذب نحوه كل شيء وله أسماء الجلال التي تقهر وتدفع عنه كل شيء فحق ذكره وهو الله له الأسماء الحسنى كلها أن يكون على ما يقتضيه مجموع أسمائه الجمالية والجلالية، وهو أن يذكر تعالى تضرعا وخيفة، ورغبا ورهبا.

وقوله: « بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ » ظاهره أنه قيد لقوله: « وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ » فيكون الذكر القولي هو الموزع إلى الغدو والآصال، وينطبق على بعض الفرائض اليومية.

وقوله: « وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » تأكيد للأمر بالذكر في أول الآية ولم يمه تعالى عن أصل الغفلة، وإنما نهي عن الدخول في زمرة الغافلين، وهم الموصوفون بالغفلة الذين استقرت فيهم هذه الصفة. ويتبين بذلك أن الذكر المطلوب المأمور به هو أن يكون الإنسان على ذكر من ربه حينما بعد حين، ويبادر إليه لو عرضت له غفلة منسية، ولا يدع الغفلة تستقر في نفسه، وفي الآية التالية: دلالة على ذلك على ما سيجيء.

فمحصل الآية: الأمر بالاستمرار على ذكر الله في النفس تضرعا وخيفة حينما بعد حين، وذكره بالقول دون الجهر بالغدو والآصال.

قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ » الآية رقم 206 من سورة الأعراف (((سجدة مستحبة)))) ظاهر السياق أنه في موضع التعليل للأمر الواقع في الآية السابقة فيكون المعنى: اذكر ربك كذا وكذا فإن الذين عند ربك كذلك أي اذكر ربك كذا لتكون من الذين عند ربك ولا تخرج من زميرهم.

ويتبين بذلك أن المراد بقوله: « الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ » ليس هم الملائكة فقط - على ما فسره كثير من المفسرين - إذ لا معنى لقولنا: اذكر ربك كذا لأن الملائكة يذكرونه كذلك بل مطلق المقربين عنده تعالى على ما يفيد لفظ: « عِنْدَ رَبِّكَ » من الحضور من غير غيبة.

ويظهر من الآية أن القرب من الله إنما هو بذكره، فبه يرتفع الحجاب بينه وبين عبده، وإلا فجميع الأشياء متساوية في النسبة إليه من غير اختلاف بينها بقرب أو بعد أو غير ذلك.

وقوله: « لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ » فيه أمور ثلاثة يتصف بها الذكر النفسي كما يتصف بها الذكر القولي فإن للنفس أن تتصف بحال عدم الاستكبار، وبحال تنزيهه تعالى، وبحال السجدة وكمال الخشوع له كما يتصف بها الذكر القولي ويعنون بها العمل الخارجي، فليس التسبيح والسجود مما يختص بالأعضاء من لسان وغيره كما يدل عليه قوله: « وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ »: إسرء: 44، وقوله: « وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ »: الرحمن: 6، وقوله: « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ »: النحل: 49.

وما في الآية من توصيف القوم بعدم الاستكبار والتسبيح والسجود أخف وأهون مما يشتمل عليه قوله تعالى: « وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ / يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ »: الأنبياء: 20 وقوله: « فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ » (((سجدة واجبة)))): حم السجدة: 38 فإن هذه الآيات ظاهرها الاستمرار الذي لا يتخلله عدم، ولا يتوسطه مناف، والآية التي نبحت عنها لم يأمر إلا بما لا تثبت معه الغفلة في النفس كما عرفت.

فهذه الآية تأمر بمرتبة من الذكر هي دون ما تتضمنه آيات سورتي الأنبياء وحَم السجدة والله العالم.

بحث روائي

في تفسير العياشي، عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عمن سمع أبا عبد الله (عليه السلام) وهويقول: إن الله أدب رسوله فقال: يا محمد خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال: خذ منهم ما ظهر وما تيسر، والعفو الوسط. وفي الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن مكارم الأخلاق عند الله أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك. ثم تلا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «خذ العفو وأمر بالعرف - وأعرض عن الجاهلين». أقول: وفي هذا المعنى روايات كثيرة مروية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من طرق أهل السنة.

وفيه، أخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن إبراهيم بن أدهم قال: لما أنزل الله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أمرت أن آخذ العفو من أخلاق الناس. وفيه، أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف يا رب والغضب؟ فنزل: «وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ» الآية. أقول: وفي الرواية شيء، ويمكن أن يوجه بما قدمناه في الآية.

وفي تفسير القمي: في الآية قال: إن عرض في قلبك منه شيء ووسوسة فاستعد بالله إنه سميع عليم. وفي الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ: «إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ» بالألف. وفي الكافي، بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل: «إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا

- فإذا هم مبصرون» قال: هو العبد يهمل بالذنب ثم يتذكر فيمسك، فذلك قوله: «تَدَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» أقول: ورواه العياشي عن أبي بصير، وعلي بن أبي حمزة، وزيد بن أبي أسامة عنه (عليه السلام)، ولفظ الأولين: هو الرجل يهمل بالذنب ثم يتذكر فيدعه، ولفظ الأخير: هو الذنب يهمل به العبد فيتذكر فيدعه، وفي معناه روايات أخر.

وفي الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقراً خلفه قوم فنزلت: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ». أقول: وفي ذلك عدة روايات من طرق أهل السنة وفي بعضها: أنهم كانوا يتكلمون خلفه وهم في الصلاة فنزلت، وفي بعضها: أنه كان فتي من الأنصار، وفي بعضها رجل.

وفي المجمع، بعد ذكر القول: إن الآية نزلت في الصلاة جماعة خلف الإمام: قال: وروي ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام). وفيه، وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها.. أقول: ورواه العياشي عن زرارة عنه (عليه السلام)، وفي آخره: وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع. وفيه، عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: الرجل يقرأ القرآن وأنا في الصلاة هل يجب على الإنصات والاستماع؟ قال: نعم إذا قرئ القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع. وفي تفسير العياشي، عن أبي كهمش عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قرأ ابن الكواء خلف أمير المؤمنين (عليه السلام): «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» فأنصت أمير المؤمنين (عليه السلام). أقول: والروايات في غير صورة قراءة الإمام محمولة على الاستحباب وتتمام البحث في الفقه.

وفي الدر المنثور، أخرج الحكيم الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أعرف الحزن في وجهه فأخذ بلحيتي فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون أتاني

جبرئيل آتفا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون قلت: أجل فإننا لله وإنا إليه راجعون فمم ذاك يا جبرئيل؟ فقال: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير. قلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كل ذلك سيكون. قلت: ومن أين ذاك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون، وتتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون. قلت يا جبرئيل فبم يسلم من سلم منهم فقال: بالكف والصبر إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعه تركوه. وفي تفسير القمي: في معنى قوله: إن الذين عند ربك الآية، يعني الأنبياء والرسل والأئمة. تم والحمد لله.

نقلا من كتاب تفسير الميزان

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

ينبغي للعاقل إذا كان عاقلا ، أن يكون له أربع ساعات من النهار :

ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يأتي أهل العلم الذين ينصرونه في أمر دينه وينصحونه ، وساعة يُخلي بين نفسه ولذتها من أمر الدنيا فيما يحلّ ويحمد .

جواهر البحار

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: "ما تصدق الناس بصدقة مثل علم بنشر"

بحار الأنوار / كتاب العلم / حديث 8 مجلد 87

ساهموا معنا في نشر هذه القبسة

<http://www.alnashaba.net/>

Email:info@alnashaba.net